أثر البيئة الطبيعية في شعر جمال الدين بن نُباتة المصري: (ت ٧٦٨ هـ)

الباحثة: هبة محمد آمين

(بَاحِثَةُ مَاجِستِيرِ فِي الأَدَبِ العَرَبِيِّ)

ملخص البحث باللغة العربية

إن للبيئة –بجوانبها المتعددة– تأثيراتٌ واضحة في الأدب، وتوجهه، وتحديد مساره، أعني عامل المكان الذي نجدُ تأثيرَهُ الكبيرَ في الأدب عامة، والشعر خاصة. ولقد طبعت البيئةُ المصريةُ، صورَها في شعرِ جَمَالِ الدِّيْنِ بْنِ نُبَاتَةِ المِصْرِيِّ: (ت ٧٦٨ هـ) وصبغته بألوانها في ألفاظه وصيغه وتراكيبه وصوره وموسيقاه، وتجاوب الشاعر مع هذه البيئة وتأثر بها تأثرًا بالغًا، وجاء شعرُه خيرَ دليلٍ على هذا التأثيرِ،

تناولت الباحثة موضوع أثر البيئة الطبيعية في شعر جمال الدين بن نُباتة المصري: (ت ٧٦٨ هـ)، حيث قدمت الباحثة لبحثها بمقدمة عامة عن مفهوم البيئة عندن النقاد القدماء والمعاصرين، والتعريف بالشاعر. واشتمل البحث على:

أولا: مَفهُومُ البِيئَةِ عند النُّقَادِ القُدَامَى والمُحدَثِينَ:

ثانيا: التعريف بالشاعر:

ثالثا: الطبيعة الطبيعية:

رابعا: الطَّبِيْعَةُ الّصنَاعيَّةُ:

كلمات مفتاحية: البيئة، ابن نُباتة، المصرية، الطبيعة المتحركة، السماء، الأرض، نهر النيل، الأهرامات، النواعير، السيف، القاهرة، الجسر، الإسكندرية، المساجد، الأديرة، المنازل..).

Summary of the research in English

The impact of the natural environment on the poetry of Jamal al-Din bin Nabatah al-Masry: (d. 768 AH)

Preparation:

Prepared by the researcher: Heba Muhammad Amin

(Master Researcher in Arabic Literature)

The environment - with its many aspects - has clear effects on literature, its direction, and determining its course, I mean the place factor whose great influence we find in literature in general, and poetry in particular. The Egyptian environment printed its images in the poetry of Jamal al-Din Ibn Nabatah al-Masry: (d. 768 AH) and dyed it with its colors in its words, formulas, structures, images and music. The researcher dealt with the subject of the impact of the natural environment on the poetry of Jamal al-Din bin Nabatah al-Masry: (d. 768 AH), where the researcher presented her research with a general introduction on the concept of the environment for ancient and contemporary critics, and the definition of the poet. The search included:

First: The concept of environment according to ancient and modern critics:

Second: Introduction to the poet:

Third: Natural Nature:

Fourth: The industrial nature:

Keywords: environment, Ibn Nubata, Egyptian, moving nature, sky, earth, Nile River, pyramids, waterwheels, sword, Cairo, bridge, Alexandria, mosques, monasteries, houses….).

المقدمة

أولا: مَفهُومُ البِيئَةِ عند النُّقَادِ القُدَامَى والمُحدَثِينَ:

يستمد الشعر صوره وتعبيراته من البيئة التي ينشأ فيها لوجود مؤثرات تؤثر في الشاعر وتساعده على التفاعل مع عناصرها المتعددة، ويظهر أثرُها في النص الشعري، وتظهر روافدها بصورة مباشرة أو غير مباشرة في شعر الشاعر، وتصبح جزءا لا يتجزأ من النص الشعري. (١)

ومفهوم البيئة هو الارتباط بالمكان، سواء من حيث الرجوع إليه، أو النزول فيه، في زمن ما، ويُسمى بـ (الزمانية/المكانية) والبيئة الطبيعية والحيوية هي كل ما يحيط بالكائن الحي ويؤثر فيه ويتأثر به، وينتج من خلال ذلك تفاعلات بين كل هذه العوامل وفكر الشاعر.

والبيئة لغويا: يعني المنزل أو المكان الذي يُحلُّ، حيث الإقامة والتأثر بالعوامل الداخلية والخارجية.

والبيئة اصطلاحا: المعيشة والاستقرار في هذا المكان، ومنه قوله تعالى: **(وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلا مَّا تَشْكُرُونَ)** (٢)، وقوله تعالى: **(هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)** (٣) والأرض في هاتين الآيتين توحيان بمعنى السكن، ومكان المعيشة، بجانب البعد الروحي والأخلاقي والعقائدي

نلاحظ أن مفهوم البيئة يتأرجح بين مجموعة من الدلالات اللغوية والاصطلاحية ذات المرجعيات والأبعاد المتعددة منها: البعد المكاني /الجغرافي، والبعد الاجتماعي والبعد النفسي ...

مَفهُومُ البِيئَةِ عند النُّقَادِ العَرَبِ القُدَامَى:

تنبه النقاد العرب القدامى إلى العلاقة التي تربط النص ومبدعه ببيئته ودورها بالتأثير في الشاعر من ناحية فكره وعواطفه وإحداثها الأثر في النص، من حيث الشكل واللغة والأسلوب، وهذا ما أظهره النتاجُ الشعريُّ للشعراء في جميع عصور الأدب العربي.

ويُعد **ابنِ سَلامِ الجُمَحِيّ (ت ٢٣٢ هـ)** بتأليفه كتابه **طبقات فحول الشعراء** (٤) حامل لواء المنهج البيئي، لأنه أول من تنبه لعامل البيئة عند تأليفه للكتاب، واعتمد عدة معايير بيئية — وإن لم يصرح بذلك- تظهر في تقسيمه لأبواب الكتاب، حيث اعتمد على الرابط الطبقي من حيث كثرة الشعر وجودته، وتعدد أغراضه داخل البيئة الواحدة، فالعامل البيئي كان لهما دورٌ فعَّال

في هذا التقسم، حيث تحدث عن شعراء القرى والبادية ... يقول ابنُ سَلامِ الجُمَحِيّ: "ففضلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام فنزلناهم منازلهم". (٥)

لم يعمد ابنُ سَلامِ الجُمَحِيّ إلى تقديم مفهوم البيئة بشكل مباشر وإنما من خلال بعض الألفاظ المتمثلة في: القبيلة –البادية– القرية، ومنه أيضا لفظ الحي والأحياء، ومن هنا يستخلص أثر البعد المكاني في الشعر العربي القديم، ونلمح مفهوم أثر البيئة من خلال مصطلحي: الطبقات والفحولة –عنوان الكتاب– معتبرا الفحولة معيارا للتمييز بين الشعراء، لأنها تتشكل وتختلف من بيئة طبيعية إلى أخرى.

فالعامل الموضوعي الجغرافي البيئي المكاني، كان سبب توزيع طبقات الشعراء باختلاف الأمكنة في الكتاب.

وقد أظهر **ابنُ سَلامِ الجُمَحِيّ** أثر بيئات الشعراء في تدوين شعرهم، وأثر الجوانب المحيطة بهم في المكان الذي عاشوا فيه، حيث تنبه إلى عامل الحروب وأثرها في غزارة الشعر عند بعض الشعراء، بجانب أثر الطبيعة: الصامتة والمتحركة.

وعلى هذا اعتمد **ابنُ سَلامِ الجُمَحِيّ** البيئة مقياسا لتاريخ الشعر والشعراء في حدود البعد الزمني (جاهلي/ إسلامي) بل تجاوز ذلك إلى تصنيف الشعراء حسب أمكنتهم وقبائلهم ومنه شعر شعراء **هذيل** وشعر شعراء **قريش**...

وتبع ابنُ قتيبة (ت٢٧٦هـ) ابنَ سَلامِ الجُمَحِيّ في أن للبيئة الطبيعية أثرًا ظاهرًا في لغة الشاعر واذا عاش شاعر في بيئة ثم انتقل إلى بيئة أخرى واستقر بها لتغير مضمون شعره وصوره، لأن كل بيئة لها خصوصيتها ومثَّلّ ابنُ قتيبة لحالة عُدي بن زيد فقال: "وكان يسكن الحيرة ويدخل الأرياف فثقل لسانه، واحتكل عنه شيء كثير جدًا" (٦)، ويعلل سبب ذلك عدم رواية شعره لأن "ألفاظه ليست بنجدية" (٧)، وملاحظة أخرى يوردها في كتابه تشير إلى ذات الأثر حول شعر زياد الأعجم الذي يقول فيه: " وهو كثير اللحن في شعره، ولهذا قيل له الأعجم، ولفساد لسانه بفارس". (٨)

اعتمد **ابنُ قتيبة** على إظهار مفهومه للبيئة من خلال التنظير للشعر العربي القديم وليس

عنصر الزمن في الحكم على الشعر والشعراء بالجودة أو الرداءة، فما يمكنه أن يكون مقياسا لاستحسان الشعر أو استهجانه هو توفر الشاعرية وليس السبق الزمني وهذا فيه نوع من الموضوعية والإنصاف. وأردف الناقد تحديد فكرة المكان في تصور ابنِ قتيبة فالمكان شأنه شأن المكون الزماني لا يعتد معيارا لقوله: "لا أخص به قوما دون قوم" (٩)

وأفرد الثَّعَالِبِيُّ (ت ٤٢٩ هـ) الحديثَ عن إقليمية الأدب، من خلال تقسيمه الكتاب لكتابه يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر (١٠) إلى أقسام أربعة بحسب الدول والأقاليم، الأول: محاسن أهل الشام والجزيرة، الثاني: محاسن أشعار أهل العراق، الثالث: محاسن أهل الري وهمذان، الأخير: سائر بلاد الجبل، ثم أردفهم بقسم خامس، ذكر فيه تتمة كل قسم من الأقسام...

وتناول **ابنُ رَشِيق (ت ٤٦٣ هـ)** في كتابه **العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده** (١١) أثرَ البيئة في الشعر: فقال: "ومقاصد الناس تختلف: فطريق أهل البادية ذكر الرحيل والانتقال وتوقع البين والإشفاق منه، وصفة الطلول والحمول، والتشوق بحنين الإبل ولمع البروق ومر النسيم، وذكر المياه التي يلتقون عليها والرياض التي يحلون بها من خزامى وأقحوان... وأهل الحاضرة يأتون على ذكر الصدود والهجران والواشين والرقباء، ووصف الورد والنسرين والنيلوفر وما شكل ذلك من النواوير البلدية والرياحين البستانية". (١٢)

أمَّا كتابُ **مَسَالِكِ الأبصَارِ في مَمَالِكِ الأمصَارِ** (١٣)، **لابنُ فَضْلِ اللَّهِ العُمَرِيّ (ت ٧٤٩هـ)** فَيُعدُّ كتاب **مَسَالِكِ الأبصَارِ** من أفضل التواليف التي ظهرت في القرن الثامن من الهجرة، لما يحوي من معارف بيئية متنوعة ومتعددة متفرقة في أجزاء الكتاب، حيث قسم هذا الكتاب تقسيما بيئيا، وذكر **العمريُّ** بيئةَ مصرَ، وضمن فيه كثيرا من شعر **جمال الدين بن نباتة** الذي يظهر فيه أثر البيئة، في مواضعَ متفرقةٍ في كتابه، وخاصة الجزء الثالث منه، في فصل مملكة مصر والشام والحجاز، فذكر مبانيها، ومدارسها وأماكنها...

مفهوم البيئة عند النقاد المحدثين:

أ– مفهوم البيئة عند النقاد الغربيين:

تحدث النقاد العربي القدامى عن الظروف البيئية التي تُؤثر في الشاعر وشعره، وتُعينه على كشف الكثير من الغموض المحيط به لأن الشاعر "ابن بيئته وزمانه والأدب نتاج ظروف سياسية واجتماعية يتأثر بها ويؤثر فيها" (١٤) حيث العلاقة التي تربط بين الشاعر وبيئته.

يقول دي **بونالد**: "الأدب تعبير عن المجتمع" (١٥)، وهذا التعريف مستمد من مفهوم النقاد العرب القدامى، حيث تناولت بعض الدراسات الغربية النقدية الحديثة إبراز الصلة بين الأدب وظروف بيئته فهي "عنيت بتحقيق الصلة بين الأدب من جهة وما يحيط به من ظروف بيئية وأحوال طبيعية، وانتماءات جنسية وتأثيرات اجتماعية ودينية". (١٦)

وهذا ما تبناه النقاد العرب القدامى في كتبهم ووضعوا اللبنات الأولى لهذا الأثر وأكده أثر من مناقد منهم.

يقول **سبنسر**: إنه من الضروري "عند قراءة مؤلفات كاتب عاش في عصر قصي أن ينظر إلى العادات والتقاليد التي سادت عصره، وأن نضع أنفسنا في موضعه وظروفه" (١٧) ، وقول سبنسر يبين ضرورة التعرف على العادات والتقاليد التي خضع لها الأديب في عصره والتي كان لها الأثر في إنتاج جنس أدبي يلبي طموحاتها ويعكسها، لأن الشعر هو "جوهر تاريخها السياسي والعلمي والديني، ومؤرخ الشعر الجيد يكون عارفًا بكل هذه الأشياء، إن الملامح القومية في أبدع خصائصها، ومراحل نموها المتابعة تكون واضحة له، وهو يستطيع أن يكتشف أهم ميل روحي يسود كل حقبة، وماذا كان أسمى هدف وقصد تحمست له الإنسانية في كل زمن". (١٨)

أما **تين** فيعد من أبرز النقاد الغربيين الذين اهتموا بالبيئة وأثرها في الشعر فقال ليس الشعر "مجرد لعب بالخيال ونزوة منفردة لشخص ما، ولكنه نسخة من العادات المحيطة، ورمز الحالة فكرية معينة، وعليه فإنه عن طريق الآثار الأدبية تصبح الإحاطة بالكيفية التي كان عليها الإنسان يحس ويفكر منذ عدة قرون ممكنة".(١٩)

ووضع **تين** مجموعة من المعايير لتحليل العمل الأدبي وهي: "الجنس، أي الشخصية القومية، والعصر، والبيئة، والعمل الأدبي بهذا يصبح في الغالب نتاجًا لهذه العوامل". (٢٠)

وتين يعترف بما قاله النقاد العرب القدامى عن مفهوم البيئة في قوله: "إن طبيعة الأقاليم والبيئات مختلفة فقلما تجد تطابقًا بين إقليم وآخر أو بين بيئة وأخرى، لكن قد يكون هناك

تقارب، واختلاف، فالبيئة المكانية ليست واحدة، والظروف المرتبطة بها متغايرة أيضًا، فأحوال الأقاليم أو البيئات المتسمة بالروعة والجمال والاستقرار بأحداثها السياسية ونظمها الاجتماعية، لا شك بأن هذا سيحدث أثرًا في المبدعين بشكل إيجابي إلى حدٍ كبير، فالأدب متغير بتبدل الأحوال والبيئات". (٢١)

فهنا نلحظ التفات **تين** لأثر البيئة المادية الطبيعية والمندوبية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية واعتبار أن الأدب ثمرة من ثمار البيئة بمفهومها الواسع. وهذه الظروف البيئية تعاونت في تحديد الأجناس والأنواع الأدبية، ويجعل تين "هذه العوامل تحدد نوع محور الإبداع والتحديد في البيئة والظروف العامة للعادات وروح العصر في العوامل التي تحدد نوع الأعمال الفنية فلا يبقى منها إلا ما يتوافق مع هذه الظروف". (٢٢)

ب– مفهوم البيئة عند النقاد العرب المحدثين:

تناول النقاد العرب المحدثون أثر البيئة في الشعر، حيث تأثروا بالغربيين، كأمثال **تين** الذي كان لنظريته النقدية ومعاييره حضورٌ واسعٌ في كتاباتهم.

وقد تعرض **أحمد أمين** لأثر البيئة في الشعر وذكر أنها "عند العرب في الجاهلية أصدق وقديمًا قال العرب: إن الشعر سجل العرب، ولو توسعوا لقالوا أيضًا، إن الأدب على العموم سجل لهم وليس الشعر وحده، فالأدب العربي الجاهلي نتيجة صادقة لبيئته". (٢٣)

فأثر البيئة على الأدب العربي جعله سجلًا صادقا لها، ويشير أيضًا إلى توافق الشعراء مع بيئاتهم، فهم "يقصدون إلى أغراض معينة استلزمتها الحياة الصحراوية في البادية فعواطفه وعقليته وأسلوبه نتيجة لنوع حياته، فالحياة عنده قاسية مجدبة، وهو في هذه الحياة المجدبة كان يغني وفقًا لقانون التعويض، يغني لنفسه ويشرك في غنائه ناقته أو جمله، ومن هنا نشأ أول ما نشأ من الشعر الرجز الذي يساير نغمات سير الجمل، وكان لهذا الرجز أثر سحري في نفس الشاعر وجمله، إذ يجعلهما يسيران مسافة بعيدة من شير تعب، ثم تطور الرجز إلى القصائد المختلفة الأوزان". (٢٤)

وأشار **طه حُسين** في كتابه **التوجيه الأدبي** إلى أن "الأدب مظهر من مظاهر الحياة الإنسانية، فهو يخضع لما تخضع له الحياة من المؤثرات المختلفة التي لا تكاد تحصى" (٢٥)، ويشير

في مقدمة كتابه (تجديد ذكرى أبي العلاء) إلى أهمية العلل المادية والمعنوية في تكوين الفكر الأدبي للإنسان الشاعر وتوجيهه.

ويُعد **أمين الخولي**: [٢٦] من النقاد العرب الذين توجهوا للبيئة باهتمامهم ودرسهم واعتبر أن لكل بيئة خصائصها التي تتميز بها عن غيرها من البيئات، وأعتبر تلك المزايا والخصائص السلطة التأثيرية على الأدب، وذلك في كتابه، ثم يشير إلى أن أثر القبيلة مثل عليه، ومسلم به، وعلى الجميع أن يأخذ بذلك، يقول: "نحن نرى العلم يقرر أثر البيئة فعالًا عنيفًا، ينازع الوراثة أثرها فكيف يريد علماء تاريخ الأدب أن ينسوا أو يهملوا تأثير البيئة؟ وكيف يريدون أن يجعلوا هذه الدنيا العريضة التي حكمها الإسلام وسكنتها العربية بركة واحدة، فالرأي الصائب أن يعدل مؤرخو الأدب عن توزيع دراسة الأدب العربي الإسلامي على تصور زمنية ولن يقدروا الأثر القوي لكل بيئة، غايتها أدب عربي، وأن يتتبعوا هذا الأثر بالدرس المستقل". [٢٧]

يرى **الخولي** أن "إقليمية الأدب هي قضية العلم في تاريخ الأدب، قضية العلم التجريبي التي يقررها واثقًا حينما يتحدث عن علاقة الكائن ببيئته وأثر تلك البيئة بنوعيها من طبيعية واجتماعية". [٢٨] فالخولي يرى أن البيئة تقوم بتوجيه الأدب والتأثير به، فلكل "بيئة منفردة مزاياها وخصائصها التي تنفرد بها بين الأقاليم، وتلك المزايا والخصائص هي التي تواجه الحياة الأدبية فيها وتؤثر في سيرها، وباختلاف هذه المميزات المالية والمعنوية تختلف حياة الإقليم الأدبية". [٢٩] فالبيئة المصرية مميزة عن غيرها، فقد أوتيت من المعالم الطبيعية متعددة الأوجه، فهذه البحرية المائية ممثلة بنهر النيل العظيم وساحل المتوسطي والبحر الأحمر، ثم تلك البيئة الصحراوية التي تشمل مساحات واسعة منها، ويضيف مثنيًا على البيئة المصرية أن "مصر بوصفها الطبيعي قد تميز كيانها الاجتماعي واستقر ماضيها التاريخي، فتوافرت لها مقومات البيئة المتعددة الواضحة فتدرم أدبها عمل علمي صحيح الأصول". [٣٠]

ثانيا: التعريف بالشاعر:

هو **جمال الدين محمد بن محمد بن الحسن بن نباتة الفارقي المصري** [٣١] الذي يصل به نسبه إلى: عبد الرحيم بن نباتة خطيب **سيف الدولة** المشهور، ولد بمنزل أسرته بمنشية المهراني

بزقاق القناديل بالقاهرة سنة ٦٨٦هـ وقيل في سنة ٦٧٦هـ، وهذا ما يرجحه الدكتور شوقي ضيف حيث يقول :"واختلف من ترجموا له في سنة ولادته هل كانت سنة ٦٧٦هـ أو سنة ٦٨٦هـ، وجمهورهم يؤكد أنه ولد في السنة الأخيرة، غير أن هناك نصًا عنه يذكر فيه أساتذته أو شيوخه في الأدب، ويذكر من بينهم محيي الدين بن عبد الظاهر المتوفى سنة ٦٩٢هـ، وليس من المعقول أن يتتلمذ له ويأخذ عنه الأدب وهو في سنة ٦٧٦هـ، على الأقل أن لم يكن قبيل ذلك". (٣٢) أقام الشاعر **بدمشق** مدة تقارب الخمسية سنة وتردد إلى **حماة وحلب** وغيرهما، ومدح الرؤساء وله في المؤيد أبي الفداء صاحب حماة وفي ولده الأفضل غرر القصائد في المدح والرثاء، وكان يشكو حاله وكثرة عياله وفي آخر الوقت أدخل الديوان وكتب في التوقيع – واستدعاه الملك الناصر حسن إلى مِصْرَ سنة ٧٦١ هـ، وله من المؤلفات القطر النباتي – سوق الرقيق – مطلع الفوائد – الفاضل في انشاء الفاضل – شرح رسالة ابن زيدون – رسالة السيف والقلم.

وقد انقسمت حياته إلى مراحل ثلاث:

الأولي: قضاها في مِصْرَ إلى أن بلغ الثلاثين من عمره- على وجه التقريب- حيث نظم الشعر لمدة ستة عشر عامًا في مدح المماليك والأمراء وغيرهم ممن بيدهم زمام الأمور في البلاد، ولكنه لم يجد الحظوة عندهم، وبخاصة السلاطين والأمراء المماليك الذين لم يفهموا الشعر العربي ولم يقدروه؛ ولذلك لم يعيروه اهتمامًا ولم يكافئوا الشعراء عليه، على عكس الخلفاء والأمراء العرب السابقين الذين كانوا يفهمون الشعر وينقدونه ويعرفون مضايقه ويثيبون كل شاعر على قدر جودته وقوة قصيدته.

الثانية: وهي مرحلة الشباب والرجولة وقد قضاها في بلاد الشام حيث تنقل بين دمشق وحماة وحلب، وإن كانت أكثر إقامته في دمشق وحماة، إذ أنه نزل في حماة على ملكها المؤيد أبي الفداء صاحب كتاب (المختصر في أخبار البشر) ونال عنده الحظوة كل الحظوة، ووجد منه حبًا وإقبالًا وعطاء كثيرًا، وجمع بينهما حب العلم والأدب، "وقرر له الملك راتبًا سنويًا: ستمائة درهم غير ما كان يسبغه عليه من العطاء كما قدم عليه بمدحه من مدائحه، وظل يفد عليه حتى توفي سنة ٧٣٢هـ، فوفد على ابنه الأفضل من بعده". (٣٣)

الثالثة والأخيرة: وهي مرحلة الشيخوخة والكهولة، وهي المرحلة الأخيرة من عمره، وقد قضاها في مِصْرَ في صحبة السلطان الناصر حسن الذي اتصل به واختص بالكتابة له وصار صاحب سره ومحببا إليه ومكرما بكل معاني التكريم أدي السلطان وفي ذلك يقول د. شوقي ضيف عن سنة ٧٦١هـ" وفي هذه السنة استدعاه الناصر حسن سلطان مِصْرَ والشام إلى القاهرة في ربيع الأول، وأمر أن يصرف له ما يتجهز به وأن يرد عليه ما انقطع عنه من الراتب، وعينه موقعًا للدست، وكانت قد تقدمت سنة فلم يستطع القيام بتوقيع الدست فأعفاه السلطان حسن من الحضور وأمر بإجراء راتبه عليه، كما أمر بنسخ ديوانه وحفظ نسخ منه في المكاتب السلطانية، وبذلك أمره على الشعراء، مما جعله يلهج بمدحه والثناء عليه. وتوفي بمارستان قلاوون سنة ٧٦٨هـ" عن عمر ناهز اثنتين وثمانين سنة. (٣٤)

ثالثا: الطبيعة الطبيعية:

الملاحظ بشكل ظاهر فى مقطعات الشاعر، على غير عادته دوماً فى شعره التقليدي، انه استطاع أن يعطينا فكرة حقيقة عن المظاهر الاجتماعية السائدة فى عصره، وأن يرينا الصلات الخاصة التي كانت قائمة بين الناس، فلقد كانت علاقته بهم صورة عن علاقة كل فرد بأخيه فى المجتمع الكبير والمجتمع الصغير اللذين يعيش فيهما، ومن هذه الطبيعة:

١- **الطبيعة السماوية**: أتت الطبيعة السماوية متنوعة فرسم لها ابن نباتة صورًا متنوعة، وسجل إعجابه.

أولا: الليل والصباح: الليل والصباح متعاقبان لا يذكر أحداهما إلا وأوحى بذكر الآخر، فلا بد لليل من صباح، ولا بد أن يعقب الصباح ليل، ولهذا كثر ذكرهما في أشعار **ابن نباتة**:

- **الليل**: لم يكن وصف الليل بالجديد، فقد عرض له الشعراء منذ القدم، فلا يكاد ديوان شاعر من مشاهير القدماء يخلو من أبيات يصف فيها الليل، بطوله ووحشته.

وقد سار شعر **جمال الدين بن نباتة** على نهج سابقيه في وصف الليل بظلمته الموحشة، وطوله الذي أرهق نفسه، وأتعب جسده.

ويشكو **ابن نباتة** طول الليل وظلمته، فيرى الكواكب واقفه لا تتحرك، ويبدو كوكب زحل كأنه يبحث عن الجوزاء كما يبحث الأعمى عن عصاه يقول:

(مِنْ بَحْرِ الكامل)

ما بال ليلي لا يسير كأنَّما وقفت كواكبه من الإعياء

وكأنَّما كيوانُ في آفاقهِ أعمى يسائلُ عن عصا الجوزاء (٣٥)

وإذا خيم الليل، وتكالبت الهموم وأرقت أصحابها، ومنعتهم لذة النوم، وقد صور ابن نباتة الهموم وكأنها دمل يشتد ألمه في الليل فيمنعه الراحة والنوم.

يقول **ابن نباتة:**

(مِنْ بَحْرِ الطويل)

ويا رُبّ ليلٍ كان لي بكؤوسه ومبسمه سلكٌ ينظم بالدّرّ

تولى ووافى بالهموم كدملٍ أكابده في الحالتين بلا فجر

كأن النجوم المائلاتِ بأفقه مفارقُ شيبٍ لا تسرّ ولا تسري (٣٦)

وابن نباتة يشكو طول الليل وظلمته، لأن ذلك مانعا له من الوصول الى ممدوحه، ولهذا راح يراقب النجوم التي تسمرت ولم تتحرك، وطال انتظاره حتى أتى الفجر الذي يشبه وجه ممدوحه في الصباحة والتهليل يقول:

(مِنْ بَحْرِ البسيط)

كم ليلةٍ بتُّ أشكو من تطاولها عليَّ والأفق داجي القلب كافره

وأرقب الشهبَ فيه وهي ثابتةٌ كأنَّما سمّرتْ منها مسامره

حتَّى بدا الصبح يحكِي وجه سيِّدنا قاضي القضاة إذا استجداه زائره (٣٧)

- **النجوم**: ويقصد بها الأجرام حتى وقد زينتها النجوم وقد تناوله ابن نباتة بالوصف مظهر جمالها، أو متأمل السماء في الليل، داع غيره إلى تأملها، والتفكير فيها، وقد زينتها النجوم.
- **القمر**: القمر سمير العشاق وأنيس المسافرين تناوله الشعراء منذ القدم، وعلى نهجهم سار **ابن نباتة المصري**.

وقد ركز الشاعر على شكل الهلال من خلال التشابيه الكثيرة التي جادت بها قرائحهم، تبارزوا من خلالها لإبراز صورة الهلال وشكله، كما تبدو للشاعر عيانا من ذلك اللوحة التي رسمها ابن نباتة للهلال وشكله حتى يقول:

(مِنْ بَحْرِ البسيط)

كأن شكل هلال العيد في يده قوسٌ على مهج الأضداد موتور
أو مخلبٌ مدَّهُ نسرُ السماءِ لهم فكلّ طائرِ قلبٍ منه مذعور
أو منجلٌ بحصاد القوم منعطف أو خنجرٌ مرهفُ النصلين مطرور
أو نعل تبر أجادت في هديته إلى جوادِ ابن أيوبَ المقادير
أو راكع الظهر شكراً في الظلام على من فضله في السما والأرض مشكور
أو حاجبٌ أشمطٌ ينبي بأن له عمراً له في ظلال الملك تعمير
أو زورَقٌ جاءَ في العيد منحدراً حيث الدجى كعباب البحر مسجور
أو لا فقلْ شفةٌ للكأسِ مائلةٌ تذكر العيش إنَّ العيش مذكور
أو لا فنصف سوار قام يطرحه كفّ الدجى حين عمته التباشير
أو لاَ فقطعةُ قيدٍ فك عن بشر أخنى الصيامُ عليه فهو مأسور (٣٨)

فالشاعر في هذه الابيات يركز علي ابراز شكل الهلال المعووج فهو قوس، ومخلب، ومنجل، وخنجر، ونصل، وراكع وصاحب اشمط، وزورق، وشفة كأس، ونصف سوار، وقطعة قيد، وهذه الصور جميعها تظهر شكل الهلال المقوس ولم تكن هذه الصور بالجديدة او الوحيدة في هذا العصر بل تناولها الشعراء من قبل. (٣٩)

٢- **الطبيعة الأرضية:** عني شعراء المماليك بالطبيعة الارضية عناية فائقة، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من شعراء العصور السابقة، ولا غرابة في ذلك، إذ إن إقليمي **مصر والشام** من الأقاليم الغنية بمشاهد الطبيعة الساكنة، ولعل تنوع هذه المشاهد، كان مصدر إلهام للشعراء، الذين تغنوا بالطبيعة وأنشدوا ألحانهم فيها، فإذا حل فصل الربيع، خرجوا للتنزه، والتمتع بجمال الطبيعة،

فالذي يتفيأ ظلال دوح، يصف ما يشعر به، وما يشاهده من ازهار واشجار وثمار، والذي يتنقل بين الحدائق، يصف ما يسر ناظريه من ورد ونرجس وياسمين وآس. (٤٠)

- **فصول السنة**: لكل فصل من فصول السنة اثره الملحوظ في نفس الشاعر، حيث وصف كل فصل منهما.

- **فصل الربيع**: أكثر الشعراء من وصف فصل الربيع، وأشادوا بجمال الطبيعة فيه، ففيه تخضر الارض، وتتفتح الازهار، فيعين ذلك هدوء النفس، وبهجتها، وسعادتها ، يري **ابن نباتة**، ان هذا الفصل، يكبر لذبحه مع إشراقة كل يوم من أيامه، حيث يصف ما اصابته به شدة برد الشتاء من زرقه في الجسد وألم في المفاصل، مما يجعله في عذاب دائم طيلة ايام هذا الفصل يقول:

(مِنْ بَحْرِ الخفيف)

كــلّ صــبحٍ يــروم بالــبردِ ذبحــي فلهــــذا يقــــول الله أكــــبر
وإذا مــا اشْــتكيت بــرداً كســاني كســوةً منــه مــا أشــدّ وأنكــر
زُرقــة الجســم وابْيضــاض ثلــوج ألبســاني ثــوبَ العــذابِ مشــهر
أيّ ثلــج شــابت بــه الأرض مــرأًى حــين شــابت بــه المفاصــل مخــبر (٤١)

الورود نور الشجر وقد غلبت علي نوع الحوجم ((٤٢) وهو الورد الأحمر، كما غلب إطلاق اسم الورد علي شجر شائك له زهر أحمر وأبيض وأصفر، عطري الرائحة، يستقطر منه ماء يعرف بماء الورد (٤٣)، ويطلق ايم الورد اليوم علي الجوري.

والورد أنواع منه نوع يسمي النصيبي نسبه الي مدينة نصيبين في **تركيا** (٤٤)، وقد استغل **ابن نباتة** معني هذا الاسم ليوري به يقول:

(مِنْ بَحْرِ الطويل)

فــديتكَ غصــناً لــيس يــبرح مثمــراً مــن الحســنِ في الــدنيا بكــلّ غريــب
تفــتَّحَ في وجناتِــه الــورد أحمــراً فيــا ليــتَ ذاكَ الــورد كــان نصــيبي (٤٥)

فالتورية في كلمة نصيبي، أي حظي وهو المعني القريب، أما المراد فهو الورد النصيبي.

- **فصل الشتاء**، يقول **ابن نباتة**:

(مِنْ بَحْرِ السَّرِيعِ)

لم أنسه كالشيب لما أضا في الرأس أو في الجلد لما جرح
قد غسل الليل بصابونه وفاض في صبغ المسا فامسح
وعاد خيط الليل من لونه أبيض كالفرق إذا ما وضح
كأنما البحر طفا ملحه فذره الأفق على ما جرح (٤٦)

لم يبعد **ابن نباتة** لوصفه للثلج، ولم يحلق في تعليل هذه الظاهرة ونتائجها، وظل قريبا مما يحيط به ويراه، وربما يعود ذلك إلى جدة الظاهرة بالنسبة له، وقله ما ورد عنها في التراث الشعري العربي.

وقد يضيف **ابن نباتة** شيئا من التجديد إلى أوصاف القدماء، لأنه يعتمد عليها اعتمادا كبيرا، وهذا شأنه في شعره كله.

- **نهر النيل**: كان هذا النهر العظيم مصدر وحى الشاعر، يداعب أحلامه منذ طفولته الاولى، فأكثر من ذكره والتغني بجماله، وهو بعيد عنه فى بلاد الشام، تحدث عن النيل المبارك (٤٧)، ودعاه بالبحر (٤٨)، ووقف على شطه (٤٩) وتغنى بظباء شطيه (٥٠)، وغزلان رياضه الغناء.

أورد الشاعر ذكر النيل وحده فى بعض الأحيان، وأورد ذكره فى أحيان أخرى مقرونا باسم مصر، وقد حاولت فى مستهل هذا القسم من الدراسة، أن أضع هذه الصورة كاملة دون قصرها على ذكر النيل، وهى فى الواقع من أجمل الصور التي رسمها الشاعر وهو فى بلاد الشام، بعد أن وخط الشيب رأسه فلنستمع إليه يخاطب السلطان الناصر حسناً:

وإنّي لمشتاقٌ إلى ظل روضة على النيل أروى العيش منها عن
لئن حثني بابُ البريد إلى مصر النضر لقد حثني بابُ الزيادة
إلى مصر يحلو نيلها مُخصب الثرى وتقبيل فى النزر فيغنى الورى فى
حلو الغزو للمحل قاتل الحالتين عن القطر حلاوتهُ
لسلطان مصر الناصر بن محمد سكبٌ وجنديةُ يجرى على

تجمعـــت الامصـــار فى مصـــر طاعـــةٌ كـــل مصـــر طاعـــةُ الـــبر والبحـــر
وهـل تجمـع الأمصـارُ إلا علـى مصـر (٥١)

جمع الشاعر، فى هذا الجزء من مدحته التي بعث بها من بلاد الشام وصف الطبيعة النيلية الأخاذة، وذكر شوقه إلى روضة النيل، وحنينه إلى أفيائها وظلالها، واستطاع من خلال هذه الأبيات القليلة أن يتحدث عن النيل نفسه، وعن ثراه المخصب، وعن فيضانه الذى يغنى فى الحالتين عن انسكاب القطر، ولم يكتف بذلك، وإنما قرن اتساع النيل بعظمة بمصر، وجلالة سلطانها الناصر حسن الذى دانت له البرية بالطاعة والخضوع.

لاحظنا أن الشاعر جمع فى هذه الصورة الموفقة **مصر والنيل** جمعاً مكتملاً، فلا نعجب بعدئذ إن رأينا هذه الصورة الجامعة تتكرر فى معاينه وتزدوج فى أو صافه العامة والخاصة يضاف إلى ذلك هذا النداء المستعطف وهذا الخطاب المؤثر حيث يقول مخاطبا نهر النيل بالتعظيم:

(من بحر الكامل)

مـــن كـــل قافيـــة تقـــوم لكـــل ذي ديـــــوان نظـــــم قبلنـــــا بمجلـــــد
هـــل دافـــعُ همـــىٌ فأُنشـــد بحرهـــا يا نيـــل مصـــر قـــد أتيـــت بمفـــرد (٥٢)

لم يقتصر الشاعر على ذكره **النيل ومصر** مفترقين، أو نيل مصر مضافتين مقترنتين، وإنما كان يضفى على ذلك طابع مقامه فى بلاد الشام، فيذكر السحب الدكناء، والغيوث السواكب، ليقارنها بالنيل المبارك، وتكون نتيجة المقارنة بالطبع تفضيل النهر العظيم.

هكذا يستخدم هذه الصورة فى قصائده، فمن ذلك قوله:

(من بحر الكامل)

أنـــت الغيـــاثُ إذا الغمـــائمُ أخلفـــتُ وعـــد الثـــرى بالـــدر فى الأخـــلاف
غيـــثُ الشـــآم ونيـــلُ مصـــر إذا شـــتت يومـــا وضـــاقت رحلـــةُ الإيـــلاف
مـــدت إلى قاضـــى القضـــاة يـــدُ الرجـــا فأمـــــدها بعوائـــــد الإلحـــــاف (٥٣)

جمع الشاعر إذا بين الشآم ونيل مصر فى هذه المدحة، ويطالعنا بذات الصورة السابقة فى مدح **علاء الدين بن فضل الله**:

(من بحر الكامل)

ذو الفضل من نسب ومن شيم فيا لله منبت عوده ونماؤهُ
والجود ما لحيا الشآم عمومهُ فينا، ولا فى نيل مصر فناؤهُ (٥٤)

لكن الشاعر يبلغ الذروة فى هذه الصورة الجامعة خلال مدحه **شمس الدين ابن تاج الدين إسحق**، وذلك حين يقول:

(من بحر الطويل)

هنيئاً لأفق الشام يا شمس مصره بأنك بالتدبير للشام طالع
يقوم مقام النيل فى مضر فضلُهُ إذا جرت الأقلام تلك الأصابعُ
ويُغنى عن الأنواء فى الشام عدلُهُ وعدلُ الفتى للخصب نعم المزارعُ
أتانا وقد ضن السحابُ بقطرة فجاد وأجدى نيلهُ المتدافعٌ
ولما وجدنا للثراء زيادةٌ علمنا بأن الشام للخير جامعُ (٥٥)

وفق الشاعر حقاً فى المقارنة والجمع، بالإضافة إلى مذهبه الخاص فى التورية الرمزية، ووفى ممدوحه حقه من الوصف والتشبيه، وأضفى عليه شمس مصره، ونيله المتدافع بموجه، وزيادته فى يوم الوفاء المشهور، فرحة مصر كلها، كما أضفى عليه بالمقابل صورة أنواء الشام وانحباس سحبها وقطرها، ذلك كله فى إطار شعرى فنى موفق، جمع فيه مميزات الشاعر المصري الذى أينع نباته فى رياض الشام.

لاحظنا كذلك فى هذه المقارنة الطريفة بين الغيث والنيل أن الشاعر كان بالطبع يفضل النهر المبارك، ولم يترك حتى مجال المقارنة بابن الفرات كما فى مدح **علاء الدين بن فضل الله**: **(من بحر المتقارب)**

زها أفقُ مصر بتدبيره فطالعُها أبداً يُزهرُ

مقـيمٌ علـى النيـل لا ابـن الفـرات ومجـــــدهمُ البحـــــرُ لا جعفـــــرُ (٥٦)

ولنستمع إليه ثانية يحدثنا عن النيل ينهلُ على الفرات فى مدح **ابن ريان**:

ثاو علـــى حلـــب ولكـــن جـــودهُ ينهـــلُ منـــهُ علـــى الفـــرات النيـــلُ (٥٧)

أُطلق لفظ البحر على **النيل** منذ القدم لاتساعه وغزارة مائه، ولم يكن الشاعر أول من استخدام هذا المعنى وشبهه به، وإنما عرف استخدام هذا التشبيه بين الناس إعجاباً وتمثيلاً، وعند الشاعر تورية ورمزاً:

(من بحر المجتث)

قالـــــت لطـــــائف شـــــعرى شـــــاكلُ كريمـــــاً بمصـــــر
فعنـــــــدهُ بيـــــــتُ بحـــــــر وعنـــــدنا بيـــــتُ شـــــعر (٥٨)

والمعروف أن شهرة الشاعر السائرة جعلته يحظى لدى ممدوحيه، فينال منهم الأيادي الوفيرة، وسرعان ما يبهره العطاء، ويغرّ بما كان يؤمله، فيتضاءل أمامه نيله العظيم ظاهراً لا باطنا، إذ هو يسعى لنيل رضا الممدوح، ويعرض عن الغمام والحيا، وحينئذ تتبدل النظرة لفظاً، وتجمد العاطفة ظاهراً، وتنقلب فى شعره لا فى قلبه، فإذا به يقول متزلفاً:

(من بحر البسيط)

عـاد اركـابُ لراجيـه وقـد خطـرتُ ذكـرى الغمـام وذكـرى النيـل فى الجـود
فقلـت: يا نيـلُ حمـلٌ غـير مطـرد ويا غمـــامُ تفضـــل غـــير مطـــرود (٥٩)

استخدم الشاعر هذا المعنى كثيراً فى شتى أغراضه ومدحه بخاصة، وهو يحاول من خلال ذلك أن يدخل فى الشعر نعوتاً جديده لم يعرفها سابقوه، ورب قائل يقول: إن اقتران الجود

بالغيث قديم مأثور عند الشعراء السابقين الذين أكثروا من هذا النعت، والحقيقة التي نريد تقريرها هنا هي أن الشاعر لم يكتف بمقارنة الجود بها بالنيل والبحر، وإنما تفنن برسم الصور وابتكار الأوصاف التي لا يجارى بها، والتي لم يسبق إليها من قبل وفق مذهبه الخاص فى التورية الرمزية.

٣- **الطبيعة الطبيعية المتحركة:** ساعدت الطبيعة التي تميزت بها مصر والشام، علي تنوع الحيوان فيها، فالمناخ معتدل، لا هو بحار ولا ببارد، والتضاريس متنوعة، فمن صحراء إلي سهول وجبال وهضاب، ومن مناطق يكثر فيها الماء، إلي مناطق تكاد تكون جافة، كل ذلك ساعد علي اختلاف أنواع الحيوان الذي يعيش فيها، ومنها:

- **الحيوان الأليف:** تحدث الشعراء عن الحيوان الأليف من جانبين: الجانب الاول تناولوا فيه وصف الحيوان وأبرزوا صفاته سواء أكانت حسنة ام غير ذلك، والجانب الثاني تناولوا فيه رثاء الحيوان، وسأتناول هذين الجانبين كما يأتي:

الخيل: الخيل عنصر اساسي في حياة شعوب تلك الحقبة من الزمن، لكثرة الحروب التي خاضتها الدولة المملوكية، سواء أكانت حروباً خارجية أم كانت حروباً داخلية، فالخيل عنصر مهم قي ساحة المعركة للمطاردة، او شن الغازات، أو بث العيون لمعرفة أخبار العدو، فبينوا صفاتها، وأظهروا مواطن الحسن والجمال فيها، من ذلك وصف **ابن نباته** لحصن أدهم، تقصر الريح عن سرعته يقول:

(مِنْ مخلع البسيط)

وأدهـــــم اللـــــونِ حِندســـــيّ في جريـــــهِ للـــــورى عجائِـــــب
يقصـــــر جـــــري الـــــرياح عنـــــه فكلهـــــا خلفـــــه جنائِـــــب [٦٠]

وقوله:

(مِنْ بحر الطويل)

وأدهـــــم رهـــــوال بقريـــــة أربـــــد شـــلت لـــه الأحمـــالَ بالرجـــل واليـــد
وفارقتـــــه أبكـــــي عليـــــه حقيقـــــةً بكـــاءَ لبيـــد يـــومَ فرقـــة أربـــد [٦١]

والتحجيل من صفات الجمال في الخيل، وقد عمل الشعراء علي إبراز هذه الصفة لي خيولهم، لإظهارها في أجمل صورة، كما في اللوحة التي يرسمها صفي الدين الحلي لفرسه، حيث يبدو محجلاً متناهي الحسن، أذناه دقيقتان منتصبتان، لسماع أدق الاشياء، سريع العدو.

الكلاب: الكلاب من الحيوانات الأليفة، وهي أصناف اشهرها السلوقية [٦٢] وقد اعتمد عليها العرب في صيدهم وطردهم، ولقبوها ألقاباً مشهورة. [٦٣]

كما اعتمدوا عليها في عملية الحراسة، فكانت الحارس الوفي إذا غاب، الأمين إذا حضر، تدل عليه طراق الليل من الضيوف، وتطرد عنه عساس الليل من الوحوش، تحرس بيته ومواشيه إذا نام، وتجلب له الصيد إذا أرسلها، كذلك ضرب فيها المثل في الوفاء.

ويصف **ابن نباته** كلباً سلوقياً اتخذه للصيد بأنه للصيد واسع الشدقين، وثاب الخطي، طاوي الجسم، طويل الأظافر، حاد الأنياب، مقوس الظهر، سريع فائق السرعة يقول:

(مِنْ بحر الرجز)

وكـــــلُّ منســـــوب إلى ســـــلوق أهـــــرت وثَّاب الخطـــــا مشـــــوق
طـــاوي الفـــؤاد ناشـــر الأظـــافر يا عجبـــاً منـــه لطـــاوٍ ناشـــرِ
يعـــضُّ بالبـــيض ويخطـــو بالقنـــا ويســـبق الـــوهم لإدراك المـــنى
كـــالقوس إلاَّ أنـــه كالســـهم والغـــيم يجلـــو عـــن شـــهاب رجـــم [٦٤]

وإذا ترآى له الصيد، اندفع إليه بسرعة فائقة، تكاد رجلاه تلحق يديه، ومبالغة في اظهار سرعته، يبين الشاعر أن اذنيه تشرطان بأظافر رجليه، وأن الشمس تخاف منه لأن اسمها غزالة.

- **الحيوان غير الأليف:** لم يكثر شعراء العصر المملوكي من وصف الحيوان غير الأليف، كما هو الحال في وصف الأليف منها، من ذلك:

الفهد: جاء وصفه في قول ابن نباتة، أثناء حديثهما عن الصيد والطرد.

ويصف **ابن نباته** فهداً اتخذه للصيد، بصفات يبدو الفهد من خلالها قوياً، شديد الحملة علي الصيد، لونه أسود، وأنيابه حادة، خط دمعه خطين علي وجهه يقول:

(مِنْ بحر مشطور الرجز)

مـــن كـــلِّ فهـــدٍ عنـــتريّ الحملـــه إذا رأى شـــــخص مهـــــاة عَبلـــــه
مبـــــارك الإقبـــــال والإعـــــراض مســـــتقبل الحـــــال بنـــــابٍ مـــــاض
كأنـــــه مـــــن حـــــدِّه كنابـــــه قـــــد أحـــــرق الأنجـــــم في إهابـــــه
لـــــه علـــــى مســـــائل الجفـــــون خـــــطّ لـــــبعض الألفـــــات الجـــــون
مـــا أبصـــر المبصـــر خطًّـــا مثلـــه وكيـــف لا والخـــطّ لابـــن مقلـــه (٦٥)

الطيور: ومنها:

الحمام: احتل الحمام المركز الأول في وصف الشعراء الأطيار المترنمة، ولم يكن وصفهم له وصفاً مقصوداً لذاته، بل كان يربط بين ذكرها، والحديث عن البكاء والنواح، فهي بهديلها تثير كوامن لوعته، وتهيج عواطفه. وقريبا من هذا المعني، ينشد **ابن نباته** بعد سماعه الورقاء فيقول:

(مِنْ بحر الطويل)

تـــذكّرني الورقـــاء بالرّمـــل معهـــداً فهـــل نجـــم أوقـــاتي علـــى الرّمـــل طـــالع؟
وتشـــدو علـــى عيـــدانها فتثـــير لي كمـــائن وجـــدٍ ضـــمنتها الأضـــالع
وذكـــرى شـــهابٍ كـــانَ لي مـــن ورائِـــه إلى مالـــكٍ لي في الصـــبابة شـــافع (٦٦)

وتبقى الحمامة نديمة الوحيد المخلص له، تخفف عنه وتسليه يقول:

(مِنْ بحر البسيط)

مـــالي نـــديمٌ ســـوى ورقـــاءَ ســـاجعة مـــن بعـــد مغتبقـــي فـــيكم ومصـــطبحي
إذا أدار ادكـــارَ الوصـــلِ لي قـــدحاً مـــن أحمـــرِ الـــدمع غنـــاني علـــى قـــدحي (٦٧)

طيور الصيد: شاعت عند المماليك ظاهرة صيد الطيور، لعلها كانت رياضتهم المفضلة فقد كان السلطان وكبار رجالات الدولة وقادتها، يخرجون في مواكب تبهر العيون، يقصدون المناطق التي يعهدون بها الطير، في مواسمه وأيامه المعروفة. (٦٨) فانبري الأدباء يصفون هذه الرحلات نثراً ونظماً، ومن خلال ذلك يصفون الطير بأنواعه.

ركز الشعراء في وصفهم علي أربعة عشر نوعاً من الطير، يظهر قسم من هذه الطيور في الشتاء، وقسم آخر يظهر في الصيف.

التم: وهو طائر نحو الإوز، في منقاره طول، وعنقه أطول من عنق الإوز. ((٦٩) ولعل في لونه بياضاً، وفي منقاره سواداً، لقول الشهاب محمود في وصفه ضمن رسالته الي انشأها في وصف رحلة صيد. (٧٠)ويصف **ابن نباتة** طلعته بين مواكب الطيور، بطلعة البدر، أما لونه فكالصبح إذا شق نوره الظلمة.

ويصف ابن نباتة الى قوله يقول من الرجز:

(مِنْ بحر الرجز)

وأقبلـــــت مواكـــــبُ الطيـــــور علـــى طـــروسِ الجـــوّ كالســـطور
فحبَّـــذا الســـطور في المهـــارق منقوطـــة الأحـــرف بالبنـــادق
مـــن كـــلِّ تمّ حـــقّ أن يســـمي ضـــياؤه المشـــرق بـــدر الـــتمّ
تخالـــهُ مـــن تحـــتِ عنـــقٍ قـــد ســـجا طـــرَّة الصـــبح تحـــتَ أذيال الـــدجى
وكـــلّ حـــيّ حســـن الوســـامه كأنَّـــه في أفقـــهِ غمامـــه (٧١)

الإوز: وقد ركز الشعراء في وصفهم علي لونها ومشيتها، فوصفها بكاعب حسناء تختال في مشيتها وهي سريعة النفور والطيران. ويركز **ابن نباتة** علي لونها، يقول الرجز:

(مِنْ بحر الرجز)

تتبعـــــــه أوزَّة دكنـــــــاء مـــن دونهـــا لفلفـــة غـــرَّاء (٧٢)

الكراكي: طائر كبير، أغبر، طويل الساقين، يطير في جماعات، ولا يمشي إلا برئيس، في طبعه الحذر إذا نام قام أحدهن بعمليه الحراسة، ولا ينام حتى يأتي غيره ولها مشات ومصايف (٧٣)، فهي من طيور الشتاء في مصر فإذا حل الصيف هاجرت إلى العراق، سريع في سيره، لذلك يصعب اصطياده. وتعجب **ابن نباتة** من سرعته، وتنقله بين مصر والعراق فيقول:

(مِنْ بحر الرجز)

وكـــلّ كركـــيّ عجيـــب الســـير كأنَّـــه طيـــف خيـــال الطـــير
مـــا بـــينَ أحشـــاء الظـــلام يســـري مـــن أرضِ بغـــداد لأرض مصـــرِ
يحـــثّ مســـراه عقـــاب كاســـبه خافضـــة لحـــظ الطيـــور ناصـــبه
إذا مضـــت جملتهـــا المعترضـــه تواصـــلت خيوطهـــا المنقرضـــه (٧٤)

الصقر: وهو من جوارح الطير، يدرب فيستجيب لمدربه، اتخذه الملوك في صيدهم (٧٥) ، شبه **ابن نباتة** مخالبه بالمناجل عند وصفه له يقول:

(مِنْ بحر الرجز)

عـيش ذوي الصـيد بـه عـيش رخـيّ يصـــلحُ أن يـــدعى وكيـــل المطـــبخ
يا حبَّـــذا طيـــور جـــدّ ولعـــبْ تهـــوي إلى الأرضِ وللأفـــق تثـــبْ
مـــن ســـنقر عـــالي المـــدا والشـــانْ معظـــم الأخبـــار والعيـــانْ
كأنـــه خليفـــة قـــد أقـــدما يفســـد في الأرضِ ويســـفكُ الـــدما
يصـــعدُ خلـــفَ الـــرزق لـــيس بمهلـــه كأنـــه مـــن الســـما يســـتعجله ((٧٦)

الطبيعة الطبيعية الصامتة:

جبل المقطم: تحدث ابن نباتة عن جبل المقطم فى شعره فتغنى كثيراً بذكر سفحه، إذ له فيه ذكريات تتجدد فى نفسه كلما اشتد به الشوق والحنين إلى أرض وطنه الحبيب، وكان من خلال وصفه أوابد مصر ومعالمها يدعو له بالسقيا كعهدنا به دوماً فى مثل هذه الأحوال:

(من بحر البسيط)

تـــذكرتُ مصـــراً والأخـــلاء والـــدهرا ســـقى الله ذاك الســـفح والنـــاس والعصـــرا
وقالـــت ظنـــوني فى الشـــآم: ادعُ لـــذة فقال لها ماضي الزمان: (اهبطوا مصرا) (٧٧)

فى هذا الجبل أسطورة التواضع والتضحية والفداء، فقد كان أكثر البلاد نبتاً وأشجاراً وفاكهة.

(من بحر الخفيف)

جـدداً لي عيشـاً علـى السـفح قـدماً أيُ عـــيش مضـــى وأيُ مكـــان؟
ذاك دهـــرُ كـــأنني كنـــتُ فيـــه بـــين حـــال الوســـنان واليقظـــان (٧٨)

هو وذلك دهره بين يومه أوسمه، وحاضره وماضيه، فلقد تغيرت الحال ولم يبق منها غير الذكرى أباسمه، تتراءى من خلال نيل المدامع.

رابعا: الطَّبِيْعَةُ الّصنَاعيَّةُ:

وقف **ابن نباتة** أمام مظاهر الحضارة متأملا فيها، وقد أعجب بها، ونالت نصيبها من نظمه، فأظهرها في لوحات فنية تفجر بالصور الناطقة التي توحي بما يخفيه الشاعر من أحاسيس ومشاعر تجاه ما يشاهده ويبصره، ومن مظاهر الطبيعة الصناعية:

- **الأهرامات:** تغنى الشاعر بأهرام مصر الخالدة عبر الزمن، وابن نباتة المصري ابن مصر والأهرام خير من يحدثنا عنها، فقد حفظ له زمان صباه فى رمالها ونخيلها أجمل الذكريات.

استخدم اسم الهرم ليصور العظمة والضخامة، كما فى قوله عندما أهدى أحد أصحابه (أبلج سكر):

(من بحرالمتقارب)

أيا ســـيدى أنـــني قـــد عيـيـــ ـــتُ عـــن أن أشـــابه أهـــل الكـــرم
فأرســـلتُه مثـــل نهـــد الشـــباب وودى لـــو كـــان مثـــل الهـــرم (٧٩)

واستخدمه أيضاً فى معرض المدح، فذكر مصر وشهواتها، وقد حلا من سكر هرماها(من بحر الكامل)

يا مـــذكري بنـــدى يديـــه وبابُـــهُ شـــهواتُ مصـــر لنـــا وطيـــبُ حماهـــا
إن يحـــلُ عنـــدي مُشـــتهى أبوابـــه فلقـــد حـــلا مـــن سُـــكر هرماهـــا (٨٠)

واستخدمه أيضاً فى معرض الرثاء، كما فى قوله:

(من بحر البسيط)

مـاذا تركـت لأرض الشـام مـن أسـف إذا تُـــذكرت الأنســـابُ والشـــيمُ

مـاذا تركـتُ بمصـر مـن حقيـق جـوى ياذا الشـــبيبة حـــتى آذهـــا الهـــرمُ (٨١)

نلاحظ أن الشاعر كان يتعمد التورية الرمزية بالهرم ليقابلها بالشبيبة والشباب، يضاف إلى ذلك أنه جمع بين مصر والشام والهرم، ويستخدم الأسلوب نفسه فى مدح **علاء الدين بن فضل** الله حينما قدم إلى بلاد الشام فقال:

(من بحر البسيط)

وافى الشـــآم ومـــا خلنـــا الغمـــام إذا بالشـــام ينشـــأ مـــن مصـــر وينســـجمُ

آهـــا لمصـــر وقـــد شـــابت لفرقتـــه فلـيس ينكـر أن يُعـزى لهـا هـرمُ (٨٢)

نلاحظ أن الشاعر كان يتعمد التورية الرمزية بالهرم ليقابلها بالشبيبة والشباب، يضاف إلى ذلك وفق الشاعر فى مدح **علاء الدين**، واستطاع بمهارته فى التورية الرمزية أن يتحدث عن مصر التي افتقدت هذا الوزير، فشابت حزناً على مفارقته المؤقتة وقد أفلح فى التعليل هذا المعنى لوصف شيبها، فلم يجد غي الاهرام الذى يعزى إليها ليكون فى ذلك الانسجام الفني الذى يتطلبه فى تورياته.

لو تجاوزنا هذه الصور الثلاث عن الأهرام إلى صورتين جديدتين لرأينا أن الشاعر سما بهما إلى قمة الإبداع الفني لاقترانهما بحياة الشاعر نفسه، أما الصورة الأولى فقد جمع الشاعر فيها هذا الثـالوث الأبـدي: **مصـــر والنيـــل والهـــرم** فى منـزل صـباه هنـاك ومراتـع طفولتـه الأولى:

(من بحر البسيط)

ســقى زمــان الصــبا يا منــزل الهــرم دمُ مـــن الـــدمع أو دمـــعٌ مـــن الـــديم

يا نيـل مصـر ودمعـي لا يحـلّ بكمـا عهـدُ الوفـاءين: مـن جـار ومنسـجم (٨٣)

لا تخلو هذه الصورة من بعض التصنع، أسلوبه الخاص الذى عرف به ولكن ذلك لم يمنعه من الإعراب عما فى نفسه، فدعا بالسقيا لهايتك الأيام.

أما الصورة الثانية فكانت أندى من سابقتها، وكلاهما قد تبلل بالدمع الجاري المنسجم، ولكن التي نحن بصددها الآن تنبض باللوعة، وتمتلئ بالأسى، وتعرب بصدق عن حال الشاعر حين شام بروق النيل فى آفاق مصر قرب الهرم الغربي: **(من بحر البسيط)**

يا سأرى البرق فى آفاق مصر لقد أذكرتني من زمان النيل ما عذُبا
حدث عن البحر أو دمعى ولا حرج وانقل عن النار أو قلبي ولا كذبا
واندب على الهرم الغربي لي عُمُرا فحبذا هرمٌ فارقتُهُ وصبا (٨٤)

جمع الشار فى هذه الصورة الكبيرة أجمل المعاني التي فجرتها هذه اللمحات واللامعات الخاطفة كهذا البرق ، وقد توزعت بين الهرمين الكبيرين هناك وهنالك ، هذا هو سأرى البرق فى آفاق مصر الأرجوانية ساعات الأصائل ، يذكره بأعذب الأيام التي سعد بها على شطي بحر النيل ، ولكن الشاعر لا يكتفى بذلك ،وإنما يطلب من البرق المصري الساري أن يحدثه عن البحر ، وأي بحر هذا ، إنه بحر الدموع التي لا تنضب ، إنه بحر النيل تشبيهاً وتمثيلا فى الحالين معاً ، إنه نيل بكائه وحنينه إلى بلده الحبيب ، وها هو ذا يطلب إليه ان يقبس من نيران قلبه أو ينقل عنها ، بيد أن الشاعر بعد ذلك ينجح إلى اليأس المرير والتشاؤم القاتل ، فيطلب من البرق المصري الساري أن يقيم له مآتم الندب ومحافل العزاء على شط النيل الغربي عند الهرم الغربي فى منزل الهرم .

- **النواعير**: انتشرت النواعير والدواليب على جوانب الأنهار، لترفع المياه إلى البساتين والغيطان لسقايتها، وعلى جوانبها اتخذ الناس مجالس اللهو المرح، وأماكن الترفيه والتراويح عن النفس، وقد اشتهرت مدينة حماه بكثرة نواعيرها على نهر العاصي، الذي لا يسقي إلا بنواعير لا تنزع منه الماء، كما يستعملها السكان لإخراج الماء للشرب وسقاية مزروعاتهم ومواشيهم.

يقول **ابن نباتة:**

(مِنْ بحر السريع)

يا حبَّـــذا في الحســـنِ ناعـــورة كأنَّهـــا مـــن فلـــك الشـــمس
تحمـــي حمـــى الروضـــات مـــن مائِهـــا وشـــكلها بالســـيف والـــترس (٨٥)

معنى الحماية هنا الوقاية من العطس وهذا المعنى جاء من شكل الناعورة الذي يشبه الترس أما السيف فليس متعيناً ربما كان محور الناعورة وربما كان الجدول الذي تصب فيه الناعورة وقبل ذاك شبه السيف بالجداول.

ومن الصور التي رسمها الشاعر للنواعير، صورة المرأة المحبة، إن تحدثت فحديثها ذو شجون، وإن حنت فحنينها دائم متواصل لا ينقطع، غير أنه من المفارقة أن عيونها دائمة الهملان، يقول **ابن نباتة:**

(مِنْ بحر الكامل)

أحبـــب بهـــا ناعـــورة كـــم حـــدَّثت بلســـان مـــاءٍ والحـــديث شـــجون
حنـــت فباطنهـــا قلـــوبٌ كلّـــه وبكـــت فظاهرهـــا الجميـــع عيـــون ((٨٦)

ويتخذ بعض الشعراء من صوت الناعورة دليلاً علي عشقها، كما نجده في قول **ابن نباتة:**

وقد أكثر **ابن نباتة** من وصف الناعورة بطرق مختلفة فإن شكل الناعورة وعملها وأثرها، والصوت الذي تصدره أثر في نفسه وأطلق مخيلته فشبهها بالفلك والمجرة فقال:

(مِنْ بَحْرِ الكَامِلِ)

ناعـــورة بمنـــازل البحـــر اقتضـــت في حالـــة التشـــبيه بـــث عجائـــب
فلـــك يـــدور علـــى المجـــرة مطلقًـــا أسـنى الكواكـب وهـي ذات ذوائـب (٨٧)

أين مواطن العجب في التشبيه الذي تحدث عنه **ابن نباتة؟** دوران الناعورة الذي يشبه دوران الفلك والماء المتناثر منها يشبه النجوم المتناثرة في المجرة، هذا موطن العجب لأنه ربط بين البحر والماء والناعورة وهي في الأرض، وبين الفلك والمعقرة والكواكب وهي في السماء ومن

العجيب أن تتشابه الناعورة بالفلك، وانتقل ابن نباته بوصف الناعورة نقلة أخرى حين ربط بين حاله وحالها، وقال:

ومن صور الناعورة التي قدمها **ابن نباتة** قوله:

(مِنْ بَحْرِ الكَامِلِ)

يا رب ناعــورة غُنــت لنــا وبكــت كحالــة الصــبُ بــين اليــأس والأمــل
قالــت ودمــع أخــي العشــاق يتبعهــا أنا الغريــق فمــا خــوفي مــن البلــل (٨٨)

الجديد في هذه الصورة إضافة الغناء إلى البكاء هذه الحال تشبه حال العاشق الذي يحييه الأمل باللقاء فيغني ويميته اليأس فيبكي ولم يكتف ابن نباتة بذلك بل أجرى على لسانها شعراً من التراث بوضح حالها ولا رابط بين الصورة في البيت الأول والصورة في البيت الثاني، وربما ركب هذا الوصف ليضمن الشطر الأخير ويفيد م معناه.

ويري **ابن نباتة** أيضاً أن جمال الناعورة يتمثل قي شكلها، وصوتها، وما حولها من رياض وأزهار، ويرجع سبب بكائها إلي فقدها بعض تلك المعالم الجمالية المتمثلة في الأزهار ونشرها.

الجزيرة والجسر: لن نتجاوز القاهرة المعزية، وإنما سنعرج على الجزيرة والجسر فيها متنقلين فى خططها ذات الأطراف المترامية، ونرعى فيها المها والظباء بشطي **نيل مصر**:

(من بحر الطويل)

ومــالي لا أبكــى علــى در مبســم كمــا بكــت الخنســاءُ قبلــي علــى صــخر
وأجــرى عيــون الــدمع فائضــةً علــى عيــون المهــا بــين الجزيــرة والجســر
ظبــاء بشــط نيــل مصــر لأجلهــا يقولُ حنينُ الشوق: آها على مصر (٨٩)

يكرر الشاعر ذكر عيون المها بين الجزيرة والجسر، ولا ينسى حديثه عن **مصر والقاهرة** مــن خــلال هــذا التكــرار، كمــا فى القصــيدة الــتي مــدح بهــا **الســلطان الناصــر حســن**:

(من بحر الطويل)

تهــــن وكــــل النــــاس عافيــــةٌ روت حديث التهاني عن بشير وعن بشر عيونُ

بهـا حملـت عنـك السـقام بمصـرها المهـا بـين الجزيـرة والجسـر (٩٠)

صحيح أن الشاعر متأثر أسلوباً بشاعر سابق هو على بن الجهم صاحب " عيون المها بين الرصافة والجسر " لكن جسر بغداد ورصافها غير جسر القاهرة وجزيرتها النيلية (٩١) التي كانت تدعى بجزيرة مصر، وقد كانت متنزهاً مشهوراً يقصده الشعراء كثيراً للتمتع بجمال منظره الموحى.

- **مدينة القاهرة وروضاتها:** لن ينسى الشاعر القاهرة وروضتها، ولن يطمس النسيان أحياءها ومعالمها من نفسه، ولن تغيب عن ذهنه مشاهدها ومساجدها، فمن الطبيعي إذا أن يتغنى بذكرها وعظمتها كلما وجد المناسبة مؤاتيه، ويستسيغ الشاعر هذا الاشتقاق جرياً على مذهبه الفني في التورية النباتية الرمزية، ويتوارد إلى باله ذكر القائد جوهر المعزى الذى أقام دعائمها لمولاه المعز لدين الله أبى تميم معد بن المنصور الفاطمي (٩٢) في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة من الهجرة ليقهر له أعداءه عند وصوله إلى الديار المصرية من المعرب، ووجد الشاعر الفرصة مناسبة فى وصف بيان **علاء الدين بن فضل الله:** **(من بحر المتقارب)**

وقـاهرة شـادها لفظُـةُ فشـائدُها أبـداً جـوهرُ
هـو اللفـظ حـال بـه جيـدُها كفيـل نـدىً وردىً يهمـرُ (٩٣)

ويصور **ابن نباتة المصري** آهاته وزفراته، شوقاً إلي **مصر** ونيلها بعد ان نزحت به الدار إلي الشام، واصبح يعاني لوعة البعد عن وطنه، والشوق إلي نيله، حيث قضي علي ضفافه لذائذ عمره، فيهزه الشوق ويدفعه إلي إعلان ذلك، فلا ينسى رياض مصر وكل روضة على شطي النيل، إذ يتذكر فيها الغانيات المصريات اللواتي فارقهن: **(من بحر الطويل)**

وفارقـت خـد الغانيـات وجفنهـا فجرحـاً علـى جـرح وكسـراً علـى كسـر
وانى لمشـتاق إلى ظـل روضـة علـى النيـل أروى العيش منهـا عـن النضـر
إلى مصـر يحلـو نيلُهـا مخضـب الثـرى فيُغـنى الـورى فى الحـالتين عـن لقطـر (٩٤)

جمع الشاعر بين الماضي الباسم والحاضر العابس المكتئب، وكرر ذكر النيل مرتين، وذكر روضة القاهرة، أو كل روضة غناء عرقها على شطي النيل أو بين الجزيرة والجسر اللذين عرفهما آنذاك زمان الصبا الذى طوته السنون.

لم يكن **ابن نباتة** ليكتفي بهذا الاستخدام فى التورية باسم القاهرة المعزية وشائدها **جوهر**، وإنما كنا نلاحظ أنه بحلوله أن ينسب إليها كما كان الحال فى النسبة إلى **مصر**، فلنستمع إليه يحدثنا عن هذه الحسناء القاهرية:

(من بحر الطويل)

تصولُ بأسياف الجفون وتسفكُ فاليدم من جفن عينيَّ يُسفكُ
حلت لي منها نسبةٌ قاهريةٌ على أنَّ قلبي فى هواها مشبكُ (٩٥)

لقد حلت له من هذه القاهرية الحسناء النسبة إلى القاهرة وحلاوتها، نهى إذا مصرية المنتهى، قاهرية المنشأ، ويبدو أنه استساغ حلاوة هذه فاستخدمها فى كل مناسبة، من ذلك قوله فى مدح السلطان **الناصر حسن**.

(من بحر الطويل)

وأحسن بها حيثُ الهناءُ مسطرٌ صحائفها عن كاتب السر والجهر
عوافي إلا أنها قاهريةٌ فعافية حلت حالتها فى المسرة والقهر
الأجساد عند ذوى الهدى وعافيةُ الأطلال عند ذوى الفكر (٩٦)

هكذا يتحدث الشاعر عن القاهرة وحلاوتها وهكذا يتحدث عن ملكها ودولتها القاهرية وعن طلعة سلطانها كما فى هذا المخمس الذى جاء فيه أيضاً قوله:

(من بحر الطويل)

إلى أن تجلت طلعة ناصرية ملية جلت دولة من ملكها قاهرية
أبيات العطا قادرية وكان عطا معن القرى نادرية (٩٧)

● **المنازل**: وصف شعراء العصر المملوكي منازلهم، غير قاصدين من وراء ذلك وصف البناء وبيان جماله أو قبحه، بل كان القصد من وراء وصفهم بيان سوء حالهم، وفقرهم، كما نجده عند ابن دانيال الكحال الذي عرف في ذلك العصر بخفة روحه، ودعابته.

ويصف **ابن نباته** منزلاً زخرفت جنباته وساحاته، وزينت بالورود وفوارة الماء يقول:

(مِنْ بحر الرمل)

هنات منزلك الذي قد زخرفت جنباته وعلا به استعلاء
أحسن بها فوارة وجوانبا سال النضار بها وقام الماء (٩٨)

ويستمر الشاعر في وصفه تلك التصاوير، مضيفا عليها الحياة، حتى لكأنهم جند حقيقة لا تصاوير، ثم يصف قبة ذلك الإيوان التي بدت تتجاوز النجوم علواً، وكأنها من عالم الأفلاك، تحرسها الملائكة، فلا تستطيع الشياطين الاقتراب منها أما الدهليز فقد زركش بالألوان التي تبهج نفوس داخليه، يقول:

(مِنْ بحر البسيط)

وقبة هي للأفلاك عاشرة ودونها في علو الشأن كيوان
كأنها العالم العلوي تحرسها الـ أملاك لم يدن منها تم شيطان
علت فأفلاكها الأفلاك في شرف وتبرها الشهب والأركان أركان
وأنت يا أشرف الأملاك شمس علا شهابها وعلي ظني سليمان
وتحت دهليزك الزاهي بزركشة من كل ما تتمني النفس ألوان (٩٩)

ويذكر **ابن نباتة** إحدى لياليه بمجلس أنس، قضاها بين سماع وشرب، وسط الأزهار والورود، فالقيان تصدح بأصواتها، وتقابلها الحمائم كأنها صدي لصوتها، والورود متفتحة كأنها ترحب بالزائرين والراح يدور بها الساقي، الذي اكتسب جمالاً من بهائها، وزيادة على ذلك يعبق المكان بأنفاس الورود، يحملها الصبا لأرجائه كافة.

نتائج البحث:

وقد توصلت في نهاية البحث إلى النتائج الآتية:

١- تميز ابن نُباتة المصري بالقدرة الفنية على معايشته للبيئة المصرية، وإظهار أثرها في شعره.

٢- لم يظهر غرض الطبيعة في قصائد مستقل، وانَّما كان مقدمات لقصائد، ومقطوعات.

٣- جمع الشاعر في بعض قصائده بين وصف البيئة المصرية والشامية.

٤- وصف الشاعر مدينة القاهرة، ونهر النيل والرياض، والنواعير، والأهرامات والجسور وجبل المقطم.

٥- كانت ألفاظ الطبعة متفاوتة بين الجزلة والقوية والسهولة.

٦- ظهرت في شعر الطبيعة الاقتباسات القرآنية حيث وظفها توظيفا جيدا في هذا الغرض.

٧- نوع الشاعر في استخدامه للصور التي التقطها من البيئة، واستطاع توظيفها بما يتناسب مع المعنى.

٨- نظم الشاعر في معظم بحور الخليل المشهورة كـ (الطويل، والكامل، والبسيط، والسريع .....).

٩- ظهر في غرض الشعر الموسيقى الداخلية مثل: (التكرار، والجناس، والطباق، والتصريع.....).

هوامش البحث:

(١) يُنظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون: ٢١٥/١، مكتبة الخانجي، ١٩٩٩م.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٠.

(٣) سورة هود، آية: ٦١:١٦٤.

(٤) طبقات فحول الشعراء، تحقيق: أ. محمود محمد شاكر: ١١٦/١، دار المدني – جدة، ط ١، ١٩٨٠ م.د.

(٥) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٦) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق مفيد قمحية: ١٢٤، بيروت–لبنان، دار الكتب العليمة، ط١، ٢٠٠٠م.

(٧) المصدر السابق: ١٢٤.

(٨) المصدر السابق: ٢٦٢.

(٩) قراءة جديدة لشعرنا القديم، صلاح عبد الصبور: ٩٤، دار العودة بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.

(١٠) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق: مفيد قميحة: مقدمة الكتاب، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٣م.

(١١) العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ابن رشيق القيرواني، حققه وفصله وعلق على حواشيه، محمد محي الدين عبد الحميد: ١٢٧/١، انجيل للنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٧٣م.

(١٢) المصدر السابق: ١٢٧/١.

(١٣) ج/ ١٨، ١٩، أشرف على تحقيق الموسوعة: د. كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م،، ط١.

(١٤) في النقد الأدبي الحديث، منطلقات وتطبيقات، فائق مصطفى: ١٦٩، الموصل – العراق، نشر مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٨٩م.

(١٥) نظرية الأدب: ويليك، رينيه: أوستن وارن، ترجمة محيي الدين صبحي، مراجعة حسام الدين الخطيب، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، مطبعة خالد الطرابيشي، سوريا، ١٩٧٢م، ص ١٢٠.

(١٦) مذاهب الأدب الغربي، مظاهرها في الأدب العربي الحديث، سالم الحمداني: ١٠، جامعة الموصل، العراق، ١٩٨٨٩ م.

(١٧) النقد الرومانتي، بركس، ويليام، وويمزات وكث، ت. حسام الخطيب ومحيي الدين صحي: ٧٥٩.٣، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٧٥م.

(١٨) الأنواع الأدبية مذاهب، ومدارس في الأدب المقارن، شفيق البقاعي: ٢٠٥، بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٨٥ م.

(١٩) نقلًا عن منهج الواقعية في الإبداع الفني، د. صلاح فضل :٢٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م.

(٢٠) مقالات في النقد الأدبي، حمادة، إبراهيم: ٩٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.

(٢١) بيئات الأدب العربي في الدراسات المعاصرة، نوفل: ٢٤، يوسف، دار المريخ الرياض، ١٩٨٤م.

(٢٢) نقلا عن المدخل إلى مناهج الدراسة الأدبية، د. عمر الطالب: ١١٤.

(٢٣) النقد الأدبي في جزأين جزؤه الأول في أسون النقد ومبادئه، وجزؤه الثاني في تاريخه عند الإفرنج والعرب، أمين، أحمد: ٤٤٥، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٤ ، ١٩٩٧ م.

(٢٤) المرجع السابق: ٤٤٥.

(٢٥) التوجيه الأدبي، د. طه حسين:١٢، دار المعارف، ط ١١، القاهرة– مصر، ١٩٧٦ م.

(٢٦) في الأدب المصري، مطبعة الاعتماد، الطبعة الأولى ١٩٤٣م.

(٢٧) المرجع السابق: ٤٤٥.

(٢٨) في الأدب المصري، أمين الخولي: ١٥، مطبعة الاعتماد، ط١، القاهرة، ١٩٤٣م.

(٢٩) المرجع السابق: ٢٠.

(٣٠) المرجع السابق: ١٤١.

(٣١) يُنظر ترجمته: ابن نباتة وشعره في: الدرر الكامنة: ٩٣٣/٤، وحسن المحاضرة: ٥٧١/١، وطبقات الشافعية للسبكي: ٢٧٣/٩، والوافي بالوفيات للصفدي ٣١١/١ والبداية والنهاية لابن كثير ٣٢٢/١٤، والنجوم الزاهرة ٩٥/١١، وشذرات الذهب ٢١٢/٦، والبدر الطالع: ١٥٢/٢، ومقدمة ديوان ابن نباتة: ص (د) خزانة الأدب لابن حجة الحموي في مواضع متفرقة، وابن نباتة المصري لعمر موسى باشا، طبعة دار المعارف بمصر، وعصر الدول والإمارات (مصر والشام) د. شوقي ضيف: ٢١٠ وما بعدها، والأدب في العصر المملوكي للدكتور محمد زغلول سلام:٢/، ٢٢١وما بعدها.

(٣٢) عصر الدول والإمارات:٢١٠.

(٣٣) عصر الدول والإمارات: ٢١١.

(٣٤) المرجع السابق: ٢١٢.

(٣٥) الديوان: ٤٢٢.

(٣٦) صنف من الأقحوان، ينظر: البدري، نزهة الانام: ١٥٠.

(٣٧) الروم: آية: ٥٠.

(٣٨) الديوان: ٢٣٥.

(٣٩) لسان العرب، ابن منظور: مادة ورد: ٩/ ٢٧٠.

(٤٠) ينظر: المرجع السابق، الشذا المؤنس: ٤٦.

(٤١) مسالك الأبصار، ابن فضل الله العمري، ١/٦٧.

(٤٢) الديوان: ٣١.

(٤٣) ينظر: نوري حودي القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ١١٠.

(٤٤) الديوان: ٦٢.

(٤٥) النحل، آية: ٧.

(٤٦) الديوان: ٤٥٢.

(٤٧) وصف الكندي مصر قائلا:" جبلها مقدس، ونيليها مبارك، وبها الطور الذى كلم الله موسى –ט– صبح الأعشى ٣/٢٨٠.

(٤٨) الديوان: ١٠٦.

(٤٩) الديوان: ٥٧٥.

(٥٠) الديوان: ٢٠٠.

(٥١) الديوان: ١٩٦.

(٥٢) الديوان: ٤٦١.

(٥٣) الديوان: ٣٢٤.

(٥٤) الديوان: ١١.

(٥٥) الديوان: ٣٠٢.

(٥٦) الديوان: ٢٠٣.

(٥٧) الديوان: ٣٩٤.

(٥٨) الديوان: ٢٤٨.

(٥٩) الديوان: ١٦٧.

(٦٠) ينظر: الحيوان، الجاحظ: ١/٣,١١.

(٦١) الديوان: ٥٩٠.

(٦٢) الديوان: ٣٠٢.

(٦٣) الديوان: ١١٩.

(٦٤) ينظر: أدب العصر المملوكي الأول، فوزي آمين: ٤٤٣، وما بعدها.

(٦٥) ينظر: نهاية الأرب، النويري: ١/٢٠٣.

(٦٦) الديوان: ١٢٦.

(٦٧) الديوان: ٥٨٧.

(٦٨) ينظر: حياة حيوان الكبري، الدميري: ١/٥٩.

(٦٩) نهاية الأرب، النويري: ١٠/٢٠٧، حاشية المحقن رقم (١)، رجلاه طويلتان، ومنقاره معقوف، كان شكله مصدر تشبيه الشعراء له.

(٧٠) الديوان: ٥٨٨.

(٧١) نهاية الأرب، النويري، ١٠/٢٠٧ , حاشية المحقق رقم "٩".

(٧٢) الديوان: ٥٨٨.

(٧٣) ينظر: الحيوان، الجاحظ: ٤٧٨/٦.

(٧٤) الديوان: ٥٨٩.

(٧٥) الديوان: ٨٥.

(٧٦) الديوان: ٤١.

(٧٧) الديوان: ٢١٦.

(٧٨) الديوان: ٥١١.

(٧٩) الديوان: ٤٦٦.

(٨٠) الديوان: ٥٤٥.

(٨١) الديوان: ٤٦٠.

(٨٢) الديوان: ٤٣٥.

(٨٣) الديوان: ٤٦١.

(٨٤) الديوان: ٣١.

(٨٥) الديوان: ٣١٧.

(٨٦) الديوان: ٥٨٦.

(٨٧) الديوان: ٥٨٨.

(٨٨) الديوان: ٥٩٠.

(٨٩) الديوان: ٢٠٠.

(٩٠) الديوان: ١٩٧.

(٩١) الديوان: ٥١١.

(٩٢) صبح الأعشى القلقشندي: ٣ / ٣٤٤.

(٩٣) الديوان: ٢٠٣.

(٩٤) الديوان: ١٩٦.

(٩٥) الديوان: ٣٦٩.

(٩٦) الديوان: ١٩٧.

(٩٧) الديوان: ٥٨١.

(٩٨) الديوان: ٢٧٢.

(٩٩) الديوان: ٥٣٨.

مصادر البحث ومراجعه.

(1) أدب العصر المملوكي الأول، فوزي آمين، وما بعدها.

(2) الأنواع الأدبية مذاهب، ومدارس في الأدب المقارن، شفيق البقاعي، بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٨٥ م.

(3) البحث الأدبي، شوقي ضيف.

(4) بيئات الأدب العربي في الدراسات المعاصرة، نوفل، يوسف، دار المريخ الرياض، ١٩٨٤م.

(5) تاريخ آداب اللغة العربية في الأدب الجاهلي، جرجي زيدان، دار الهلال، القاهرة.

(6) التوجيه الأدبي، د. طه حسين، دار المعارف، ط ١١، القاهرة–مصر، ١٩٧٦ م.

(7) الحيوان، الجاحظ.

(8) حياة الحيوان الكبري، الدميري.

(9) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ١٩٩٩م.

(10) دراسات في مفهوم الشعر ونقده في النقد الادبي القديم، زراقط، عبد المجيد، بيروت–لبنان، دار الحق للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٨م.

(11) ابن نباتة وشعره في: الدرر الكامنة، وحسن المحاضرة، وطبقات الشافعية للسبكي، والوافي بالوفيات للصفدي والبداية والنهاية لابن كثي، والنجوم الزاهرة، وشذرات الذهب، والبدر الطالع، ومقدمة ديوان ابن نباتة: ص (د) خزانة الأدب لابن حجة الحموي في مواضع متفرقة، وابن نباتة المصري لعمر موسى باشا، طبعة دار المعارف بمصر، وعصر الدول والإمارات (مصر والشام) د. شوقي ضيف وما بعدها، والأدب في العصر المملوكي للدكتور محمد زغلول سلام، وما بعدها.

(12) ديوان جمال الدين بن نباتة المصري، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، دون ذكر سنة الطبع.

(13) رحلة ابن بطوطة، ابن بطوطة.

(14) السيوطي رصف اللآل في وصف الهلال ضمن كتابة التحفة البهية وما بعدها.

(15) علي الجندي، الشذا المؤنس في الورد والنرجس.
(16) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق مفيد قمحية، بيروت–لبنان، دار الكتب العليمة، ط١، ٢٠٠٠م.
(17) صبح الأعشى، القلقشندي.
(18) عصر الدول والإمارات.
(19) صنف من الأقحوان، ينظر: البدري، نزهة الانام.
(20) طبقات فحول الشعراء، تحقيق: أ. محمود محمد شاكر، دار المدني – جدة، ط ١، ١٩٨٠ م.د
(21) أحمد أبو صعيليك، الطبيعة في شعر مصر والشام من القرن الخامس عشر إلي نهاية الدولة الأيوبية، رسالة ماجستير، جامعة مؤته ١٩٩٧ م.
(22) نوري حودي القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ١١٠.
(23) العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ابن رشيق القيرواني، حققه وفصله وعلق على حواشيه، محمد محي الدين عبد الحميد، انجيل للنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٧٣م.
(24) في الأدب المصري، أمين الخولي، مطبعة الاعتماد، ط١، القاهرة، ١٩٤٣م
(25) في النقد الأدبي الحديث، منطلقات وتطبيقات، فائق مصطفى ، الموصل – العراق، نشر مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٨٩م.
(26) القاضي الجرجاني، الأديب الناقد، محمود السمرة، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٦م.
(27) قراءة جديدة لشعرنا القديم، صلاح عبد الصبور، دار العودة بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.
(28) لسان العرب، ابن منظور: مادة ورد.
(29) المدخل إلى مناهج الدراسة الأدبية، د. عمر الطالب.
(30) مذاهب الأدب الغربي، مظاهرها في الأدب العربي الحديث، سالم الحمدان، جامعة الموصل، العراق، ١٩٨٨٩ م.
(31) مسالك الأبصار، ابن فضل الله العمري.
(32) مقالات في النقد الأدبي، حمادة، إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.
(33) منهج الواقعية في الإبداع الفني، د. صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م.
(34) البدري، نزهة الأنام، وأعجاز الأبيات مضمنة من بيت للمتنبي، ينظر العبري، شرح ديوان المتنبي.

(35) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق: مفيد قميحة: مقدمة الكتاب، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٣م.

(36) نظرية الأدب: ويليك، رينيه: أوستن وارن، ترجمة محيي الدين صبحي، مراجعة حسام الدين الخطيب، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، مطبعة خالد الطرابيشي، سوريا، ١٩٧٢م، ص ١٢٠.

(37) البدري، نزهة الأنام، وأعجاز الأبيات مضمنة من بيت للمتنبي، ينظر العبري، شرح ديوان المتنبي.

(38) النقد الرومانتي، بركس، ويليام، ووِمزات وكث، ت. حسام الخطيب ومحيي الدين صحي، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٧٥م.

(39) النقد الأدبي في جزأين جزؤه الأول في أسون النقد ومبادئه، وجزؤه الثاني في تاريخه عند الإفرنج والعرب، أمين، أحمد، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٤، ١٩٩٧ م.

(40) نهاية الأرب، النويري.

(41) الوصف في الشعر العربي، عبد العظيم علي القناوي.